ترجمة وتقديم نبيه بشير *

مناحيم بيغن- الحرب الدفاعية أو الحرب الهجومية

تقديم

يتناول بيغن في خطابه الحرب على لبنان (حزيران ١٩٨٢)، التي يطلق عليها في المعجم الصهيوني تعبير عملية "سلامة الجليل"، ويشرح دوافع القيام بها، على الرغم من أنها لم تكن "حربًا دفاعية". يبدأ بيغن باستعراض الوضع الدولي قبل الحرب العالمية الثانية، ويدّعي أنه لو تصرّفت فرنسا في أعقاب انتهاك ألمانيا لاتفاقية بينهما (المبرمة في ٧ آذار ١٩٣٦)، لكان بإمكانها هزيمة الجيش الألماني، وبالتالي فإنَّ الحرب العالمية الثانية ما كانت ستندلع وما نجم عنها ما نجم من ضحايا ومصابين، لكن فرنسا لم تعتبرها حربًا دفاعية، فقد بقيت صامتة ولم تتحرّك ضد هذا الانتهاك. ينتقل بيغن بعد ذلك للحديث عن حروب إسرائيل - حرب ١٩٤٨ ("حرب الاستقلال") والاستنزاف ويوم الغفران وكانت كانت جميعها حروبًا دفاعية، أسفرت عن أعداد كبيرة جدًا من القتلى والجرحى، والعدوان الثلاثي وحرب حزيران ١٩٦٧ (حرب "الأيام الستة") التي اختارت إسرائيل فيهما خوضها، على الرغم من غياب أي خطر حقيقي يتهدّد كيان الدولة برأيه. كذلك الأمر بخصوص حرب لبنان، برأيه، حيث كان الهدف منها تحقيق الردع لا مقاومة تهديد وجودي للدولة. يصرّح بيغن بأنَّ إسرائيل لن تشرع في هجوم على دولة عربية، وأنَّ رؤيته هي قيام اتّحاد كونفدرالي حرّ بين الأردن وإسرائيل من خلال التعاون المتبادل، ولم يأت على ذكر أي إشارة بشأن مصير الضفة الغربية وقطاع غزّة وسكّانها.

تكمن أهمية هذا الخطاب في وقوفه عند تعريف الحرب الدفاعية في مقابل الحرب الهجومية، وتصنيف الحروب التي خاضتها بحسب تصنيفه وتعريفه. وهو

* محاضر في جامعة بيرزيت، برنامج الدراسات الإسرائيلية، وباحث في الدراسات التوراتية والإسرائيلية.

بذلك زعزع أحد العقائد السائدة والمهيمنة على وعي أكثر الإسرائيليّين القائلة إنَّ إسرائيل تدخل الحروب حين توجه المخاطر التي تهدّد وجودها. يميّز المعجم الصهيوني بين نوعين مركزيّين من الحروب: الحرب الواجبة (أو الدفاعية) (ملحيمت إين بريراه) التي لا تترك مناصًا إلّا المشاركة فيها (/Obligatory Defensive War)، والحرب الاختيارية (ملحيمت بريراه) (Discretionary War)، ويردافهما باليهودية: الحرب الواجبة والحرب المسموح بها. وحتى خطاب بيغن هذا ساد الاعتقاد الراسخ بين الإسرائيليّين بأنَّ إسرائيل لا تخوض حروبًا من الصنف الثاني أبدًا. يمكننا أن نعيد هذا التجديد الذي طرحه بيغن إلى الاختلاف القائم بين الفكر السياسي المهيمن لدى التيار العمالي (مباي وحزب العمل لاحقًا) وذلك المهيمن لدى التيار التصحيحي واليمين بصورة عامة. ونذكر هنا أحد العناصر التي يختلف فيها هذان الفكران. بينما يركّز التيار الأول على الغاية ولا يولي أهمية للوسيلة، يمنح التيار الثاني أهمية قصوى كذلك للوسيلة. فالدفاع من منظور التيار الأول هو مجرّد وسيلة للحفاظ على الغاية (الدولة والمجتمع)، أما التيار الثاني فيرى في الدفاع وسيلة تحطّ من قدر الأمّة وتظهرها بمظهر الجبان مسلوب الإرادة، أو مظهر "يهودي الشتات" بحسب معجم التيار اليميني الصهيوني (واليمين بعامة كذلك). أما الهجوم فيؤكّد على عظمة الأمّة وكرامتها وعنفوانها وإرادتها الحرّة وشجاعتها. فتجد كلمة "كرامة" (كبود) في كل نصّ لناشط صهيوني يميني بصورة أكبر بكثير مما تجدها في نصوص لناشطين في التيار العمالي. لهذا ترى التيار اليميني يولي أهمية كبرى للطقوس والرموز والعبارات وتواصله مع التراث اليهودي وكتبه المقدّسة بصورة كبيرة حتى بين أولئك العلمانيّين وغير المؤمنين بالمعنى الديني. وكما عبّر عن ذلك الباحث أمنون راز كراكوتسكين، لا يؤمن هؤلاء بوجود الربّ لكنهم يؤمنون بأنه منحهم "أرض إسرائيل". وفي الحالة الصهيونية، لا يعني هذا التصنيف أنَّ التيار العمالي لا يبالي بما يركّز عليه التيار التصحيحي اليميني، لكنه يحرص بصورة أكبر بكثير على عدم التصريح به أو التأكيد عليه بحيث يتحوّل إلى غاية قائمة بذاتها بل يبقى وسيلة لتحقيق الغاية. وقد تجلّى هذا الاختلاف بصورة كبيرة بدءًا من نقد جابوتنسكي لسياسة حايم وايزمان، واستقالته من اللجنة التنفيذية المصغّرة للمنظمة الصهيونية (يطلق عليها كذلك "الإدارة الصهيونية") في سنة ١٩٢٣ بعد انتخابه عضوًا فيها بسنتين، مرورًا بنقده الشديد لسياسة المنظمة الصهيونية ومؤسّساتها المختلفة في أعقاب ثورة البراق[1] (آب ١٩٢٩) وصولًا إلى سياسة ضبط النفس التي اعتمدتها المنظمة الصهيونية وحزب مباي على رأسها للتعامل مع ثورة ١٩٣٦. فقد دارت نقاشات ساخنة بين جماهير الصهاينة في فلسطين بشأن السياسة التي يجب اعتمادها ردًّا على الثورة: ضبط النفس أم الرّد بالمثل (هڤلغا أو تغوڤا، Policy of Restraint or Policy of Retaliation).

[نصّ الخطاب][2]

إنَّ الحرب الدفاعية الكلاسيكية هي تلك التي شنّها الحلفاء في الحرب العالمية الثانية. واجهت بريطانيا العظمى صعوبات عسيرة في ٢٣ آب ١٩٣٩، على الرغم من أنها كانت لا تزال إمبراطورية عالمية لم تغرب عنها الشمس أبدًا، وكانت سلطتها تمتد على مساحة ٤٠ مليون كيلومتر مربع، إلّا أنَّ هيبتها غرقت في أعماق البحار السبعة التي كانت لا تزال تهيمن عليها، وإن لم تحتكرها.

تنكّرت بريطانيا وفرنسا للوعود التي قطعتاها لتشيكوسلوفاكيا وأجبرتا تلك الأمة الصغيرة والشجاعة على الركوع أمام هتلر. نتيجة لضغوط حلفاء تشيكوسلوفاكيا، سلّمت الحصون المبنية في منطقة السوديت إلى ألمانيا، وبعد عام واحد فقط، حنث ملك شياطين الغضب (أسموديوس أو آشماداي) هذا بكل وعوده، كما كان يمكن لأي شخص عاقل أن يعرف مسبقًا، وسلّم مصانع " سكودا" (تشيكوسلوفاكيا، ١٩٠٥) أيضًا للألمان، ومنها أقلعت الطائرات البيضاء التي شوهدت في الأول من أيلول ١٩٣٩ في سماء وارسو. في سنوات الثلاثينيات الماضية، سارعت بريطانيا إلى تقديم ضمانات لدول شرق أوروبا وجنوبها - يوغوسلافيا ورومانيا وبولندا دون أن تطلب منها بالمقابل أي ضمانات.

طالب البولنديون بعدم منحهم ضمانات، لكنهم طالبوا بأن توقّع بريطانيا معهم معاهدة متبادلة، وهذا ما حصل فعلًا، ولكن الجنرال أيرونسايد[3] الذي

زار بولندا قدّم تقريرًا صادمًا: بولندا لديها لواء مدرع واحد فقط ومعظم قوتها تعتمد على الفروسية. في عهد فيلوسودسكي،[4] جرى في أحد الأيام، عرض لفرق الفرسان لم تر البشرية مثله منذ العصور الوسطى. جرى استعراض عشرات الآلاف من الفرسان وهم يلوّحون بالرايات العسكرية الصغيرة ورماحهم أمام القائد العام الذي لم يفقه شيئًا عن الفترة المعاصرة التي تحوّلت فيها الدبابة بالفعل إلى السلاح المركزي لاختراق جبهة العدو.

في ١٩-٢٣ آب ١٩٣٩، وقع كلّ من ريبنتروب الألماني ومولوتوف السوفييتي معاهدة بجزئين، مع طاغية متعطّش للدماء يقف خلفهما المدعو جوزف ستالين.[5] اعتقد ستالين أنه من خلال التوقيع على اتفاقية بينه وبين هتلر، ومن خلال البروتوكول السري لتقسيم بولندا بين عدوتيها التاريخيتين- ألمانيا وروسيا، سيحقّق الاتحاد السوفييتي سلامًا طويل الأمد.

في هذه الظروف اندلعت الحرب في الأول من أيلول ١٩٣٩ عندما عبر الجيش النازي الألماني الحدود البولندية- الألمانية. قاتلت بولندا بسبب عدم وجود أي خيار آخر أمامها إلّا الدفاع، وسُحق الجيش البولندي خلال ثلاثة أيام ولم تعد الدولة البولندية موجودة.

كانت الجبهة الشرقية، على حدود الاتحاد السوفييتي، مؤمّنة لألمانيا النازية. حينذاك بدأت فترة "الحرب المُتخَيلة"، وعدت بريطانيا بمساعدة بولندا برًّا وبحرًا وجوًّا، لكنها لم تفعل شيئًا لإنقاذ الدولة المهزومة، وكانت فرنسا حليفة لبولندا لكنها لم تتقدّم حتى بضعة كيلومترات إلى خط ماجينو[6] لسحب قوات الجبهة الشرقية البولندية غربًا.

بعد فترة "الحرب المُتخَيلة"، بدأت ألمانيا النازية بسحق فرنسا. كان بإمكانها فعل ذلك لأنَّ جبهتها الشرقية كانت مضمونة من خلال معاهدة مولوتوف- ريبنتروب، أي اتفاقية هتلر ستالين. في تلك الأيام، كان الدعائيون البلشفيون يخبرون كل شخص مستعد للسماع أنَّ هناك عبقريًا من عباقرة الزمان في الكرملين قد رسم مثلثين: أحدهما في قمة الرأس ب (بريطانيا)، والضلع الآخر أ (ألمانيا)، والضلع الثاني في الجهة المقابلة ر (روسيا). وظنَّ نيفيل تشامبرلين[7] أنه ذكي. سيضع هذان الضلعان الواحد في مقابل الآخر (ألمانيا وروسيا)، وبعد ذلك تتدخّل بريطانيا، بعد أن تغمر الدماء هاتين الجبهتين، فتفرض النظام وتصنع السلام في أوروبا. لكن عبقري العباقرة الجالس في الكرملين عكس الترتيب وقلب الأمور رأسًا على عقب، فوضع روسيا في قمة المثلّث، فأراق الطرفان ألمانيا وبريطانيا دماء بعضهما البعض.

كما نعلم جميعًا، لم يطرأ ذلك بهذه الطريقة. فقد أثبت عبقريّ العباقرة حماقته. صحيح أنه كان بالفعل طاغية ذكيًا، وكان يمكنه أن ينظر إلى الشخص ويبتّ فورًا حكم الموت عليه، ولم يكن الرجل يعرف حتى ماذا سيحدث له غدًا، لكن في السياسة الحقيقية، في العلاقات بين الشعوب، لم يفقه شيئًا. عندما حذّره الجاسوس زورغا من اليابان،[8] وبعد ذلك رئيس "الجوقة الحمراء" أيضًا، اليهودي تريفر،[9] من أنه في ٢٢ حزيران ١٩٤١، سيهاجم الجيش النازي الألماني روسيا بعد تمركزه في أعقاب تدمير جزيرة كريت وتدمير القوة العسكرية ليوغوسلافيا على طول الحدود الروسية بأكملها من بحر البلطيق إلى البحر الأسود، قال: "هذا استفزاز بريطاني، عار عن الصحة، الأطفال يتحدثون معي ويريدون أن يرغموني على الدخول في المعركة".

فاجأ الجيش الألماني، الذي كان لديه في ذلك الوقت ألفين وأربعمائة دبابة وكانت تلك القوة تعتبر أكبر قوة مدرعة في تاريخ البشرية، في يوم ٢٢ حزيران ١٩٤١ الجيش السوفييتي بهجومه عليه. عند الحدود قال الضباط السوفييت: "نحن نتعرّض للهجوم"، فأجابوهم من الجهة الأخرى من الحدود: "كيف تتجرؤون على التحدّث إلينا بصورة غير مشفّرة؟ مَن يهاجمكم؟".

حتّى ذلك الحين لم يؤمن ستالين أنَّ الجيش الألماني كان يهاجمه، لكن عندما اتضحت له صحة ذلك وأن الهجوم كان ساحقًا وأن فرقًا كاملة من الاتّحاد السوفييتي استسلمت للعدو أو أنها تشتّتت في كلّ اتّجاه، أغلق الباب على نفسه في غرفة مدة ثلاثة أيام وشرب حتّى الثمالة.

كان أوّل من تحدث عن العدوان النازي الألماني هو السيد مولوتوف نفسه الذي وقع الاتفاقية مع ريبنتروب قبل عامين، وفقط في اليوم السادس أو السابع من الحرب سمعوا لأول مرّة صوت ستالين يقول لرفاقه: "هكذا يضيع كلّ ما بناه لينين إلى الجحيم"، وبعدها تغلّب على ضعفه وتسلّم زمام الأمور. وعليه، فقد كانت تلك الحرب إذًا حربًا دفاعية لبولندا، وحربًا دفاعية لفرنسا وروسيا.

ما هو الثمن الذي دفعته الإنسانية لهذه الحرب الدفاعية؟ الجواب هو ما بين ٣٠ مليون إلى ٤٠ مليون

مناحم بيغن وشارون يزوران قلعة شقيف بعد صمودها البطولي قبل احتلالها في حزيران ١٩٨٢. (وكالات)

قتيل، وثلاثة أضعاف ذلك العدد من الجرحى، بما في ذلك ستة ملايين يهودي، الشعب الوحيد الذي استخدمت ألمانيا النازية ضدّه الغاز (وكان لدى هتلر مخزون كبير جدًّا من الغاز، لكنه لم يستخدمه ضد الشعوب الأخرى خوفًا من ردود الأفعال).

هذه هي النتيجة الرهيبة للحرب الدفاعية. لقد وُضعت البشرية جمعاء على شفا الهاوية، عندما لم تكن ألمانيا النازية بعيدة عن النصر الكامل. كانت ألمانيا في العام ١٩٤٤ على وشك بناء القنبلة الذرية، وكانت منشأة الماء الثقيل في النرويج تعمل بالفعل. لو تمكّنت من صنع القنبلة الذرية بحلول أيار ١٩٤٥، لكانت هذه نهاية حرية الإنسان لأجيال لا حصر لها، وكنا جميعًا، لو بقينا على قيد الحياة، نعيش في ظلام الليل الطويل.

(بصورة عجائبية فقط، نعم، أنا أؤمن بالمعجزات إيمانًا كاملًا، بفضل العناية الإلهية التي لا تمنع الكوارث إلّا في نهاية الطريق، عندما يقترب الإنسان جدًّا من حافة الهاوية فقط حينها تشدّه إلى الوراء، وبالتالي تضمن وجود الإنسانية بأممها، وتنقذ البشرية من الكارثة النهائية).[١٠]

هل كان بالإمكان تجنّب اندلاع الحرب العالمية الثانية؟ اليوم وبفضل الدراسات المتاحة أمامنا والحقائق المعروفة لدينا، لم يعد هناك شك في الإجابة بنعم، فقد كان في الحقيقة من الممكن تجنّب تلك الحرب.

الخطوة التي كان يمكن اعتمادها لتجنّب الحرب مرتبطة باليوم ٧ آذار ١٩٣٦. ماذا حدث في ذلك اليوم؟ ناقش المجلس الوطني الفرنسيّ في شباط ١٩٣٦ التصديق على معاهدة للدفاع المشترك بين فرنسا والاتّحاد السوفييتي، وهي معاهدة كان يجب أن تعمل في كلا الاتجاهين من الغرب والشرق ضد ألمانيا النازية العدوانية. لكن كان مجلس الشيوخ الفرنسي لا يزال يناقش، في ٧ آذار ١٩٣٦، هذه المعاهدة ومسألة ما إذا كان يجب التصديق عليها أم لا، لأنه في تلك الأيام كان ذلك الجزء المسمّى اليمين في فرنسا يعارض بشدة معاهدة الدفاع المشترك مع الاتحاد السوفييتي، وكان لا يزال غير متأكّد كيف سيصوّت مجلس الشيوخ. في ذلك اليوم، وقف هتلر على منصّة البرلمان الألمانية وأعلن عن إلغاء المنطقة منزوعة السلاح في منطقة الراين (راينلاند).

ماذا كان يعني ذلك الأمر؟

بعد انتصار الحلفاء على ألمانيا، في العام ١٩١٨، طالبت فرنسا لضروريات أمنها أن تضمّ إليها منطقة الراينلاند على الضفة الشمالية لنهر الراين. لكن أميركا

وبريطانيا عارضتا ذلك بشدة، بحجة أن ذلك سيكون ظلمًا لألمانيا، لأنَّ السكان الذين يعيشون هناك يتحدثون الألمانية ويشكّلون جزءًا لا يتجزأ من ألمانيا. وفي النهاية تم التوصل إلى "حل وسط": منطقة منزوعة السلاح ستبقى إلى الأبد، على الضفتين الجنوبية والشمالية لنهر الراين، على طول النهر مسافة خمسين كيلومترًا، وهكذا فكّر الفرنسيّون أنَّ ذلك سيمنح فرنسا الأمن.

أعلن هتلر في ذلك اليوم، ٧ آذار ١٩٣٦، أنه يلغي معاهدة فرساي التي فرضت على الألمان فرضًا، ومن بين جملة الأمور الأخرى، فقد كانت تحتوي هذه المعاهدة البنود المتعلقة بمنطقة الراينلاند، على جانبي النهر. ومن أجل توضيح قراره، أدخل هتلر كتيبتين من الجيش الألماني إلى منطقة الراينلاند منزوعة السلاح. في ذلك الوقت، عندما تم القيام بهذا العمل، كان من الممكن أن تكون فرقتان فرنسيتان كافيتين لأسر جميع الألمان الذين دخلوا منطقة الراينلاند، وحينئذ كان هتلر سيسقط، وكانت هيبته ستنهار. لم يكن لديه جيش بعد، كان لديه عصابات الصاعقة (SA) والأمن الوقائي (SS) والشرطة السرية (الغيستابو). فرقتان فرنسيتان مع دباباتهما التي كانت متوفرة لديهما، وسلاح الجو الذي يمتلكونه، كان بإمكانها القضاء على القوة الألمانية الزائفة. وحينذاك كان من الممكن تجنّب اندلاع الحرب العالمية الثانية، وكان من الممكن أن يظل ثلاثون مليون شخص على قيد الحياة في ذلك الوقت، ولن يصاب ٩٠ مليون شخص بجروح، وكان من الممكن أيضًا تجنّب مأساة هيروشيما، وكان وضع البشرية في أيامنا يختلف كليًا. وكان بقي معنا اليوم ستة ملايين يهودي، وكانوا ليكون عددهم اليوم أكثر من اثني عشر مليونًا. وكان يصبح اليوم مليون ونصف المليون من أطفالنا الذين احترقوا بنار المحرقة أكثر من ثلاثة ملايين. وكانت أرض إسرائيل كلّها في أيدينا اليوم.

انطلقت شرارة الحرب العالمية الثانية في الأول من أيلول ١٩٣٩، وبدأت فعليًا في ٧ آذار ١٩٣٦. لو أنَّ فرنسا فقط، بدون بريطانيا، التي كان لديها عشرات الفرق القتالية الممتازة، قد هاجمت المعتدي، لما كان هناك أي أثر للقوة النازية-الألمانية، وكان من الممكن تجنّب الحرب، التي غيّرت وجه تاريخ البشرية بكاملها خلال ثلاث سنوات فقط. هذا دليل عالمي على ماهية الحرب التي تتغذّى من التوجّه الدفاعي، أو الحرب التي تتغذّى من التوجّه الهجومي.

ننتقل من الساحة الدولية إلى ساحتنا نحن. إنَّ عملية "سلامة الجليل" (الحرب على لبنان، حزيران ١٩٨٢) ليست عملية عسكرية دفاعية. لم يهدّد الإرهابيون وجود دولة إسرائيل، لقد هدّدوا "فقط" حياة مواطني إسرائيل والشعب اليهودي. هناك من يقول بالنسبة للشق الثاني من الجملة: "إذا لم يكن هناك خطر على وجود الدولة، فلماذا خرجتم للحرب؟". سأشرح لماذا. لقد خضنا ثلاثة حروب ذهبنا فيها إلى حرب من منطلق الحرب الدفاعية.

الحرب الأولى كانت "حرب الاستقلال" التي بدأت في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٤٧ واستمرّت حتّى كانون الثاني ١٩٤٩، تذكّروا هذا التاريخ لأنَّ هناك من يحاول أن يعبّر عن سخطه عن الأسابيع التسعة التي مرّت حتى يومنا[11] منذ بداية "سلامة الجليل". بالفعل، لقد كانت هذه "حرب الاستقلال"، لا تقعوا في الخلط بالمصطلحات، هي ليست "حرب التحرير"، فحرب التحرير تشنّ ضد من يسيطر عليك، أما العرب فلم يسيطروا علينا أبدًا، بل البريطانيون هم من سيطر علينا. قاتلت التنظيمات العبرية السرية الحكم البريطاني حتى اندحاره، هذه هي "حرب التحرير". لكن منذ ٣٠ تشرين الثاني حين هاجمنا العرب من أجل إبادتنا، عرب أرض إسرائيل والعرب في الجوار، وحتى الغزو اعتبارًا من ١٥ أيّار ١٩٤٨ وحتى العملية ضد المصريّين في كانون الثاني ١٩٤٩ كانت تلك "حرب الاستقلال"، أي الحرب من أجل الحفاظ على الاستقلال، حرب فريضة، حرب مقدّسة، كانت حربًا دفاعية، لو لم نُقاتِل ولم ننتصر، لما كنّا موجودين هنا هذا المساء، ولم يبقَ أحدٌ منا على قيد الحياة.

ماذا حدث في تلك الحرب الدفاعية؟

خسرنا ستة آلاف مقاتل قُتلوا خلال الحرب، كنّا ٦٥٠ ألف مواطن في أرض إسرائيل، أي نحو ١٪ من السكان. نسبيًا لعدد السكّان في أيامنا، فإنَّ واحد في المائة يعني ٣٠ ألف مقاتل. ونسبيًا، فإنَّ عدد المصابين يكون نحو ٩٠ ألف مصاب. هل كان بإمكاننا أن نتعايش مع مثل هذه الخسائر؟ لنتخيّل ثلاثين ألف جنديّ قتيل، من خيرة الشباب، من خيرة القادة الذين يخاطبون: "اتبعوني"!

"كان الخيار بأيدينا مرّة أخرى في حزيران ١٩٦٧. بخصوص تمركز قوات الجيش المصري في مقدّمة سيناء، لا يوجد أيّ دليل على أنَّ جمال عبد الناصر كان ينوي مهاجمتنا بالفعل. يجب أن نكون صادقين مع أنفسنا. نحن من قرّر مهاجمته. لقد كانت هذه حرب دفاع عن النفس بأسمى معاني هذا التعبير".

واصلنا حياتنا بأعجوبة في أعقاب المحرقة النازية، من منطلق الإدراك الواضح: واجب الحياة هو الانتصار وإقامة دولة، وحكومة، وبرلمان، وديمقراطية، وجيش، وقوة حماية لإسرائيل والشعب اليهودي بأكمله ولصون كرامته.

حرب دفاعية ثانية كانت حرب يوم الغفران وحرب الاستنزاف التي سبقتها. كيف كان الوضع في يوم السبت من يوم الغفران؟ في سبت الراحة؟ ١٧٧ من دباباتنا كانت متمركزة على مرتفعات الجولان مقابل ١,٤٠٠ دبابة سوفييتية-سورية. أقل من ٥٠٠ من جنودنا كانوا متمركزين في المواقع العسكرية عند قناة السويس، مقابل ٥ فرق خصّصتها مصر للجبهة وللحرب، فلا عجب أن الأيام الأولى كانت صعبة بشكل لا يطاق. أتذكر عندما أتى إلينا الجنرال أبراهام يافه[١٢] وإلى أعضاء لجنة الخارجية والأمن وقال: "واحسرتاه، كم هو صعب! هؤلاء الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ١٩ عامًا يسقطون مثل الذباب وهم بالفعل يحمون شعبنا بأجسادهم. في مرتفعات الجولان، كانت هناك لحظة سمع فيها قائد المنطقة الشمالية، رئيس هيئة الأركان حاليًا، من نائبه عبارة "هذا هو" وكان يريد القول: "لقد خسرنا وعلينا أن نهبط"، وقال قائد المنطقة الشمالية في حينه: "أعطني خمس دقائق أخرى"، وأحيانًا خمس دقائق تحدّد مصير شعب، في هذه الدقائق الخمس، وصلت عشرات الدبابات، وليست عشرات كثيرة، لكنها غيرت الوضع برمته في هضبة الجولان. لو لم يحدث هذا، لو نزل العدو السوري إلى الوادي من الهضبة - لكان قد وصل حتّى حيفا، لأنه حتى حيفا لم تكن هناك دبابة واحدة توقف الرتل المدرّع السوري. نعم! كنّا سنقاتل بالسكاكين أيضًا، كما قالت إحدى زوجاتنا الكريمات، سكاكين ضد الدبابات. وكان سيسقط عدد أكبر بكثير، وفي جميع البلدات كانت ستقع المجازر على يدي السوريّين الذين يعرفون فعل ذلك، كما أثبتوا لنا ذلك في حماة قبل بضعة أشهر بحق السكان المدنيّين. كان هذا هو الخطر الذي واجهناه في حرب يوم الغفران التي كانت حربًا دفاعية.

وقع الشباب في المواقع العسكرية الجنوبية في الأسر، ماذا حدث لهم بعد ذلك؟ كل واحد منكم يعرف، لم آت لأتحدّث عن فظائع العدو، نزلت علينا القذائف كالمطر، وتضرّرت عشرات الدبابات. كان هناك عدد قليل من الدبابات، ولم يتمّ تجميع قوّة كبيرة.

ويل للآذان التي لا يزال يتردّد فيها صدى كلمات أحد أبطال الأمّة الذي يجري في عروقه دم المكابيّين، وزير الدفاع آنذاك: "لقد خسرنا البيت/ الهيكل الثالث".

سنفقد البيت/ الهيكل الثالث، هل يمكنكم أن تتكهّنوا دلالة هذه العبارة؟ ثلث شعبنا أبيد، والثلث الآخر كان سيباد بالكامل، كنّا سنفقد البيت/ الهيكل الثالث لو لم ننج في الشمال وكذلك في الجنوب من الخطر على وجودنا ذاته، وكم هي فادحة الخسائر التي لحقت بنا! بلغ عدد ضحايانا في تلك الحرب الدفاعية (يوم الغفران): ٢,٢٩٧ قتيلًا، وَ ٦,٠٦٧ جريحًا، وبلغ عددهم سوية مع حرب الاستنزاف، التي كانت هي الأخرى حربًا دفاعية، ٢,٦٥٩ قتيلًا وَ ٧,٢٥١ جريحًا.

لم تكن حروبنا الأخرى حروبًا دفاعية، ففي تشرين الثاني ١٩٥٦ كان الخيار بأيدينا، هل تهدّد أي خطر وجود الدولة؟ لقد كان التفسير الرسمي لدخولنا

حـرب سـيناء هـو القضـاء عـلى الفدائيّـين، وهـم الذيـن لـم يشـكّلوا أيّ خطـر وجـودي عـلى الدولـة. لكـن رأت القيـادة السياسـية في ذلـك الوقـت أنَّ مـن الـضروري والمهـم القيـام بذلـك. كنـت لا أزال أجلـس عـلى مقاعـد المعارضـة البرلمانية. لقـد تـم اسـتدعائي لدافيـد بـن غوريـون في اليـوم السـابق لتلقـي الحكومـة الإعـلان عـن هـذه الخطـة، ووجـد أنـه مـن الـضروري اطلاعنـا أنـا وزملائـي عـلى تفاصيـل تلـك الخطّـة لمواجهـة العـدو قبـل أن يسـتوعب تدّفـق الأسـلحة السـوفييتية إلينـا منـذ العـام ١٩٥٥ مـن تشيكوسـلوفاكيا، وتوجيـه الضربـات لـه. قلنـا دون أي تعليـق أو تسـاؤل: سـنقف سـويًا، إنهـا حـرب مقدّسـة. وفعـلًا وقفنـا معًـا فانضمـت دولـة إسرائيـل إلى دولتـين قويتـين، حتّـى انسـحبنا مـن هنـاك بـدون إبـرام معاهـدة سـلام، ولا نـزع سـلاح سـيناء. وقفنـا معًـا، فانضمـت دولـة إسرائيـل إلى دولتـين قويتـين. لـم تكـن هـذه حربًـا دفاعيـة. احتللنـا معظـم جزيـرة سـيناء، ليـس كلهـا، بـل معظمهـا، ووصلنـا حتـى شرم الشـيخ. بعـد ذلـك تلقينـا إمـلاءً أميركيـا واذعنّـا لـه، خاصـة في مـا يتعلّـق بقطـاع غـزة. أطلـق دافيـد بـن غوريـون عـلى قطـاع غـزّة الجـزء المُحـرّر مـن الوطـن.

كان الخيـار بأيدينـا مـرّة أخـرى في حزيـران ١٩٦٧. بخصـوص تمركـز قـوات الجيـش المـصري في مقدّمـة سـيناء، لا يوجـد أيّ دليـل عـلى أنَّ جمـال عبـد النـاصر كان ينـوي مهاجمتنـا بالفعـل. يجـب أن نكـون صادقـين مـع أنفسـنا. نحـن مـن قـرّر مهاجمتـه. لقـد كانـت هـذه حـرب دفـاع عـن النفـس بأسـمى معانـي هـذا التعبـير. حكومـة التكتّـل الوطنـي التـي تشـكّلت في ذلـك الوقـت، قـرّرت بالإجمـاع: سـنأخذ زمـام المبـادرة لمهاجمـة العـدو، ودحـره إلى الـوراء، وبالتـالي ضمـان أمـن إسرائيـل ومسـتقبل الأمـة. لـم نفعـل ذلـك لأنـه كان لا بـدّ منهـا. فقـد كان بإمكاننـا الانتظـار. كان مـن الممكـن أن نعيـد الجنـود إلى بيوتهـم. مـن يـدري مـا إذا كان الهجـوم سـيقع علينـا أصـلًا، ولا يوجـد أيّ دليـل عـلى ذلـك، بـل هنـاك عـدّة أدلّـة تشـير إلى أن الاتجـاه معكـوس. صحيـح أنَّ إغـلاق مضيـق تـيران كان عمـلًا عدوانيًـا (ذريعـة للحـرب – Casus belli)، لكـن هنـاك دائمًـا مجـال للتبريـر، يمكـن اسـتخدام "ذريعـة للحـرب" (Casus belli) مـن أجـل خـوض "الحـرب" (Bellum).

وهكـذا، فقـد كانـت لنـا ثـلاث حـروب دفاعيـة، هـي: حـرب الاسـتقلال، وحرب الاسـتنزاف، وحـرب يـوم الغفران. واحسرتـاه! إذاً هـذه هـي حروبنـا. فلـو سـقط لنـا العـدد نفسـه مـن الضحايـا في الحربـين الهجوميّـين، حـرب الأيـام السـتة وحـرب سـيناء، لكنّـا اليـوم مـن دون خـيرة شـبابنا ولـن تكـون لدينـا قـوة للوقـوف ضـد العالـم العربـي.

أمّـا عمليـة سـلامة الجليـل فهـي لا تنتمـي للحـروب الدفاعيـة، فإننـا لا نخوضهـا بدافـع انعـدام الخيـار أمامنـا. كان بإمكاننـا مواصلـة حياتنـا ورؤيـة مواطنينـا الجرحـى، بـدءًا مـن المطلّـة أو كريـات شـمونه ونهريـا (شـمالًا) وحتّـى بـئر السـبع (في الجنـوب)، وتجـاوز وضـع عبـوات ناسـفة في سـوبر ماركـت في القـدس وبيتـاح تكفـا وكفـار سـابا، وجميـع أنحـاء أرض إسرائيـل في يهـودا والسـامرة وغـزّة، (وجميـع الأوامـر لهـذه الأعمـال التخريبيـة جـاءت مـن بـيروت). لكـن، هـل كان علينـا أن نتقبّـل عمليـات قتـل المدنيّـين هـذه بـلا نهايـة وبـلا حـدود، حتـى بعـد إبـرام اتفـاق لوقـف الأعمـال العدائيـة في الصيـف المنـصرم، والـذي فـسّره الإرهابيـون عـلى أنـه يسـمح لهـم بمهاجمتنـا مـن جميـع الجهـات باسـتثناء جنـوب لبنـان؟ فتفسـيرهم هـذا قـد حـدّد أفعالهـم. لذلـك، فقـد حاولـوا إدخـال خلايـا القتلـة مـن سـورية وشرق الأردن. لقـد ألقينـا القبـض عليهـم، لكـن هـذا كان معجـزة، فقـد كان يمكـن أيضًـا ألّا نلقـي القبـض عليهـم. كانـت هنـاك خليـة مـن أربعـة إرهابيّـين ألقـي القبـض عليهـم، واعترفـوا بأنهـم كانـوا في طريقهـم للاسـتيلاء عـلى حافلـة أخـرى، ونحـن نتذكّـر الحافلـة التـي كانـت عـلى طريـق الشـاطئ، عـلى طريـق السـاحل، عـلى طريـق الـدم، حيـث قُتـل ثمانيـة وثلاثـون شـخصًا، نسـاءً وأطفـالًا وكان هنـاك مصابـون أيضًـا – رجـال ونسـاء وأطفـال، هـل كان علينـا أن نتحمّـل كل هذا؟

ومـاذا بخصـوص خـارج البـلاد؟ حتّـى فيليـب حبيـب[١٣] قبـل هـو الآخـر تفسـير منظمـة التحريـر الفلسـطينية لاتفـاق وقـف الأعمـال العدائيـة بأنـه يتيـح لهـم الهجـوم عـلى أهـداف تقـع خـارج حـدود إسرائيـل. نحـن لـم نقبـل أبـدًا هـذا التفسـير الأميركـي. هـل نسـمح بسـفك دمـاء اليهـود؟ هـل نسـمح بقتـل إخوتنـا اليهـود في الشـتات؟ ألـم يكتـف الأغيـار بمـا حـدث لشـعبنا في الأربعينيـات مـن القـرن المـاضي؟ يلقـون القنابـل في كنيـس يهـودي في باريـس، وأثينـا، رومـا ولنـدن، ويحاولـون اغتيـال سـفيرنا، وهـو مـن خـيرة السـفراء الذيـن كانـوا لدولـة إسرائيـل، وهـو لا يـزال مشـلولًا ربمـا لبقيـة حياتـه، فهـل نهـدر دم إخواننـا أو مبعوثينـا؟ لكـن هـذا مـا حـدث.

يقـول بعـض المنتقديـن إنـه طـوال عـام كامـل كان هنـاك هـدوء بيننـا وبـين المخرّبـين. هـذا لا أسـاس لـه مـن الصحّـة! لـم يكـن هنـاك هـدوء حتـى مـدة شـهر واحـد،

"نعم، إنها ليست حربًا دفاعية، لكن هل يعتبر هذا عيبًا؟ اخرجوا وانظروا، أيها السادة، خلال هذه الأسابيع التسعة الأخيرة، لقد قضينا بالفعل على القدرة القتالية لعشرين ألف مخرّب، تسعة آلاف لدينا محتجزون في معسكر للأسرى، وقُتل بين ألفين إلى ثلاثة آلاف، وبين سبعة آلاف إلى تسعة آلاف ألقي القبض عليهم في بيروت وهم محاصرون. قرّروا الخروج من هناك، فقط لأنه لا توجد لديهم إمكانية البقاء هناك".

لكن ماذا؟ لا تنشر الصحف ووسائل الإعلام، بما في ذلك نيويورك تايمز وواشنطن بوست، سطرًا واحدًا عن القبض على مجموعة من خلايا القتلة الذين يعبرون الأردن للاستيلاء على حافلة وقتل ركابها. وعلى الرغم من أنه لم يكن هناك خطر على وجود الدولة من مثل هذه الأعمال، فإنه كان هناك خطر يتهدّد حياة المواطنين، الذين لا يمكننا تقدير عددهم، وكان هذا الخطر موجودًا بصورة يومية وأسبوعية وشهرية.

نعم، إنها ليست حربًا دفاعية، لكن هل يعتبر هذا عيبًا؟ اخرجوا وانظروا، أيها السادة، خلال هذه الأسابيع التسعة الأخيرة، لقد قضينا بالفعل على القدرة القتالية لعشرين ألف مخرّب، تسعة آلاف لدينا محتجزون في معسكر للأسرى، وقُتل بين ألفين إلى ثلاثة آلاف، وبين سبعة آلاف إلى تسعة آلاف ألقي القبض عليهم في بيروت وهم محاصرون. قرّروا الخروج من هناك، فقط لأنه لا توجد لديهم إمكانية البقاء هناك. سيتم حلّ المشكلة. يمكننا بالفعل أن ننظر إلى ما بعد القتال اليوم. سينتهي كما نأمل قريبًا. وحينذاك، حسب اعتقادي ومعرفتي، سيكون لدينا فترة سلام طويلة. لن تكون هناك دولة أخرى في جوارنا يمكنها مهاجمتنا. سورية لن تهاجمنا، فهي لا تستطيع، إنها غير قادرة، لقد دمرنا دباباتها وطائراتها من أفضل ما لديها. لقد دمرنا لها ٢٤ بطارية صواريخ أرض-جو. بعد كل ما حدث، لم تعلن علينا سورية الحرب، لا في لبنان ولا في هضبة الجولان، ولن تتمكن من مهاجمتنا.

لا تستطيع الأردن مهاجمتنا، فالأردن كما نعلم ترسل برقيات كلّ يوم تقريبًا إلى الأميركيين وهي تصرخ بأنَّ إسرائيل على وشك غزو شرق الأردن واحتلال عمّان.

أعلن هنا وأقول إننا لا ننوي القيام بذلك. نحن، في أعقاب المحرقة النازية، نفتقر للقوّة؛ ولهذا السبب ليس لدينا رغبة في شنّ الحرب من أجل احتلال شرق الأردن، نحن نتطلّع في الشرق إلى رؤية أخرى للسلام والاتّحاد الكونفدرالي الحر بين شطري أرض إسرائيل التاريخية ومن خلال التعاون المتبادل. سنمنح الملك حسين ميناءً حرًّا في عسقلان أو حيفا، ستكون الجسور مفتوحة على نهر الأردن، وسيتجه غربًا ليس عبر رأس الرجاء الصالح، بل عبر البحر المتوسط. سنذهب شرقًا ونؤسّس اتّحادًا كونفدراليًّا حرًّا من خلال التعاون. هذه هي رؤيتنا وهكذا نستطيع أن نكرّر القصيدة: "هناك سيتمتع ابن الجزيرة العربية، وابن الناصرة، وابني بالوفرة والسعادة"، هذه هي القصيدة التي كتبها زئيف جابوتنسكي وفيها الكثير من الأخلاق الوطنية والإنسانية، والكثير من العدالة التاريخية. الأردن لا تستطيع مهاجمتنا، ونحن لن نهاجمها؛ سورية لا تستطيع مهاجمتنا، ونحن لن نهاجمها؛ لدينا معاهدة سلام مع مصر، مائة وخمسون كيلومترًا منزوعة السلاح داخل سيناء. إنَّ معاهدة السلام قائمة، وسوف يتم الوفاء بجميع الالتزامات الواردة في معاهدة السلام. لن يهاجمنا أحد في المستقبل المنظور، سيتعين علينا الحفاظ على قوتنا وتطويرها، لدينا العقل وهو قوتنا، هكذا سيكون في المستقبل أيضًا.

بناءً على تجربة الثلاثينيات، يجب أن أقول إنه إذا انتهك الطرف الآخر اتفاق المنطقة منزوعة السلاح في إحدى المرات، فسيكون من واجب إسرائيل إدخال جيش أقوى من جيش الطرف الذي انتهك الالتزام الدولي دون تأخير. ليس لغرض إعلان الحرب، لكن

للحصول على إحدى النتيجتين الآتيتين: إعادة الوضع إلى سابق عهده، تجديد نزع السلاح، وانسحاب الجيشين من المنطقة منزوعة السلاح؛ أو اكتساب عمق إستراتيجي في حالة قيام الطرف الآخر بالخطوة الأولى نحو حرب عدوانية، كما حدث في أوروبا، بعد ثلاث سنوات فقط من إلغاء المنطقة منزوعة السلاح في الراينلاند.

لأن الدول العربية الأخرى لا تستطيع مهاجمة دولة إسرائيل على الإطلاق، هناك سبب وجيه لنتوقّع أن نتمتّع بفترة تاريخية من السلام. وغني عن القول إنه من المستحيل تحديد موعد. من الممكن أن تكون الأرض هادئة مدة أربعين سنة، أو أقل، وربما أكثر من ذلك، لكن وفقًا للحقائق الواضحة، من الواضح أنه مع انتهاء القتال في لبنان، تنتظرنا سنوات طويلة لإبرام اتفاقيات السلام وإقامة العلاقات السلمية مع مختلف الدول العربية.

يستند هذا الاستنتاج إلى طبيعة العلاقات بين الأمم وتجربتنا الوطنية. ليس هناك أي سبب يدعونا إلى أن نفترض أنّ الحروب تشنّ حين تكون دفاعية فقط. ليس هناك أي واجب أخلاقي يفرض على الأمّة أو يمنحها الحق بالقتال فقط حين يكون ظهرها للبحر أو إلى الجحيم. فيمكن لمثل هذه الحروب أن تُحدث كارثة، إن لم تكن محرقة، على الأمّة بأسرها، وتسبّب لها خسائر فادحة في الأرواح.

على العكس من ذلك، فإنَّ الأمّة الحرّة التي تتمتّع بالسيادة وتكره الحرب وتحب السلام وتحرص على الأمن ملزمة بخلق الظروف التي تدعم حروبها، إذا دعت الحاجة لخوضها، بحيث لا تكون دفاعية (بل هجومية).

لست مستعدًا لقبول توصيف صحيفة الدراسات الإستراتيجية في لندن القائل إننا الدولة العظمى الرابعة بعد الولايات المتّحدة الأميركية والاتحاد السوفييتي والصين. يبلغ عددهم معًا مليارًا وستمائة مليون ونحن معهم مليار وستمائة وثلاثة ملايين. لهذا فإنَّ نسبتنا هذه تحتّم علينا أن نكون متواضعين بعض الشيء. لسنا الدولة العظمى الرابعة، لكن لدينا القوة الكافية لحماية شعبنا وبلادنا، شعب إسرائيل وأرض إسرائيل، وأن ندحر أيّ عدو يرفع يده علينا، وأن ندمّر كل من يعلن أنه يريد تدمير دولة إسرائيل. لن تتكرّر رسائل مثل هذه مرة أخرى. يجب على جميع الشعوب أن تدرك جيّدًا أنَّ من ينهض ويصرّح بأنه يرغب ويسعى إلى تدمير دولة اليهود، سيكون الشعب اليهودي مستعدًا للقضاء عليه.

الهوامش

١ نشر جابوتنسكي مقالة تحمل الاسم بترجمته الحرفية "هل لا مناص؟" (هإم إين بريراه؟)، وهو التعبير نفسه (إين بريراه) المستخدم في التعبير الثنائي: ملحيمت بريراه، ملحيمت إين بريراه ويبدو أن هذا التعبير يستند إلى هذا النقاش القديم الأيديولوجي الفكري، ويمكن أن نقابله بين التوجّه النقدي أو الثوري مع التوجّه الواقعي باصطلاحات عصرنا. نشرت مقالة (هإم إين بريراه؟) بداية في الدورية التابعة للحركة التصحيحية (دوؤار هيوم) يوم ٦ آب ١٩٣٠، ونشرت مؤخرًا ضمن **أعمال جابوتنسكي الكاملة، مجلد "أرض إسرائيل ب"** ، المحرّر الرئيس أرييه ناؤور (تل أبيب: معهد جابوتنسكي ومركز إرث مناحيم بيغن، ٢٠١٨)، ٣٤٣-٣٤٦.

٢ المصدر: بالأصل هي محاضرة ألقيت على شرف انتهاء السنة الدراسية في كلية الأمن القومي في يوم ١١ آب ١٩٨٢ (ومتوفر في الموقع الرسمي لمركز مناحيم بيغن: https://db.begincenter.org.il)، وقد نُشرت نسخة منقّحة منه في جريدة معاريف (٢٠ آب ١٩٨٢). قمت هنا بالاستفادة من النسختين، لأن بعض التفاصيل الغامضة في الخطاب موضّحة أكثر في المقالة، لكن أمورًا مهمة وردت في الخطاب حذفت من المقالة.

٣ الجنرال أيرونسايد (Field Marshal William Edmund Ironside, 1880-1959): عسكري بريطاني، شغل منصب رئيس الأركان العام للجيش البريطاني في السنة الأولى للحرب العالمية الثانية.

٤ **يوسف فيلوسودسكي** (Jozef Filosudiski, 1867-1935) سياسي بولندي قاد الثورة البولندية في أعقاب الحرب العالمية الأولى وانتزع استقلالها من الاتحاد السوفييتي، وترأس الجمهورية البولندية الثانية بين السنتين ١٩٢٦-١٩٣٥. وتجدر الإشارة إلى أنَّ شخصية فيلوسودسكي قد ألهمت العديد من الصهيونيّين، لا سيما المنتمين للحركة التصحيحية واليمين الصهيوني المتطرف (مثل أعضاء حركة الإتسل) وجابوتنسكي ومناحيم بيغن لاحقًا، لا لثورته فقط بنظرهم بل لأنه طالب بإعادة بناء بولندا التاريخية التي قسّمت خلال الفترة الممتدة بين سنة ١٧٧٢ وسنة ١٧٩٥ وانتقلت مساحات شاسعة من أراضي بولندا إلى بروسيا والنمسا وروسيا. ولّدت هذه المطالبة ("بولندا التاريخية") في أذهان هؤلاء الناشطين الصهيونيّين فكرة "أرض إسرائيل الكاملة" أو "التاريخية". للاستزادة حول هذا الموضوع، يُنظر:
Yonathan Shapiro, *The Road to Power: Herut Party in Israel* (New York: State University of New York Press, 1991)

٥ **معاهدة مولوتوف-ريبنتروب:** هي معاهدة عدم اعتداء بين ألمانيا النازية والاتحاد السوفييتي، وقع عليها الطرفان ممثّلين بوزير الخارجية الألماني يوآخيم فون ريبنتروب (Joachim von Ribberntrop) ونظيره السوفييتي فايشسلاف مولوتوف (Vyacheslav Molotov) في موسكو (٢٣ آب ١٩٣٩).

٦ **خط ماجينو** (Ligne Maginot): سلسلة تحصينات دفاعية تشمل أحصنة إسمنتية ثابتة ودبابات وراجمات ووسائل تكنولوجية أخرى شيّدتها فرنسا منذ سنة ١٩٣٠ على طول الحدود مع ألمانيا في أعقاب الحرب العالمية الأولى. تقوم في صلب فكرة بناء هذه التحصينات المقاربة الدفاعية لا الهجومية، وهي فكرة تمسّك بها وزير الدفاع الفرنسي جوزيف جوفر (Joseph Joffre) وبدعم من السياسي والمفكّر الإستراتيجي العسكري هنري بتين (Henri P. Petain) الشهير بانتصاراته في الحرب العالمية الأولى وخضوعه السريع أمام ألمانيا النازية في سنة ١٩٤٠ خلال الحرب العالمية الثانية. وكان وزير الخارجية أندريه ماجينو (André Maginot) في سنة ١٩٢٧، الذي عيّن أثناء البدء بإقامة الخط (١٩٣٠) وزير الحرب، هو من أقنع الحكومة الفرنسية للاستثمار في هذه الخطة.

٧ **آرثور نيفيل تشامبرلين** (Arthur Neville Chamberlain, 1869-1940): سياسي بريطاني من حزب المحافظين، ورئيس الحكومة قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية وخلال أول سنة بعد اندلاعها (١٩٣٧-١٩٤٠) ووقف على رأس حزب المحافظين. شغل عدة مناصب وزارية خلال فترات متقطّعة منذ سنة ١٩٢٣ (الاقتصاد والصحة). اشتهر بتوجّهه المهادن (Appeasement) حتى مع ألمانيا النازية، حيث أرسل رسالة مبطّنة عبر مبعوث له التقى هتلر (١٩ تشرين الثاني ١٩٣٧) في بداية ترأسه للحكومة طمأنه فيها بأنَّ توجّه رئيس الحكومة يتّسم بالمهادنة، وهو التوجّه الفرنسي نفسه كذلك في تلك الفترة، وتلخّص هذا التوجّه بأنه إذا حصل هتلر على جميع مطالبه فإنه لن يشنّ الحرب. تتوجّ هذا التوجّه بعقد "اتفاقية ميونخ" في مؤتمر القمة المنعقد بحضور رؤساء حكومات بريطانيا وفرنسا وإيطاليا (موسيليني) في ٢٩ أيلول ١٩٣٨. حقّقت هذه الاتفاقية مطالبات هتلر بالاعتراف بضمّ النمسا ومطالبته بمنطقة السوديت إلى ألمانيا بحجة أن غالبية سكّانها من أصول ألمانية. كما تحقّق كذلك اعتراف بريطاني بضمّ هتلر جميع أراضي تشيكوسلوفاكيا.

٨ **ريخارد زورغا** (Richard Sorge, 1895-1944): ضابط مخابرات سوفييتي، يعتبر من أشهر جواسيس الحرب العالمية الثانية. عمل جاسوسًا في ألمانيا واليابان، كشف أمره في اليابان واعتقل، لكن الاتحاد السوفييتي تبرأ منه ولم يوافق عدة مرات على مبادلته بأسرى يابانيّين ما أدّى إلى إعدامه.

٩ **ليوفولد تريفر** (Leopold Trepper, 1904-1982): يهودي بولندي وقف على رأس شبكة تجسّس سوفييتية انتشرت في غالبية بلدان وسط أوروبا وغربها عملت قبل الحرب العالمية وخلالها (١٩٣٨-١٩٤٢). بعد تردّدات عديدة حول هويته اليهودية وعقيدته الدينية، اختار في سنة ١٩١٨ الانضمام إلى هبوعيل هتسعير الصهيونية إلى جانب تأثّره بالأفكار الشيوعية. بعد اعتقاله بتهمة انتمائه إلى الشيوعية في سنة ١٩٢٣ حُرم من العمل، ما دفعه للهجرة إلى فلسطين كعضو في هبوعيل هتسعير في سنة ١٩٢٤. انضم في فلسطين للحزب الشيوعي الفلسطيني في سنة ١٩٢٦ وترأس فرع حيفا. اعتقل عدة مرات في سنة ١٩٢٩ لنشاطه الشيوعي في فلسطين ونفي من فلسطين ووصل إلى فرنسا حيث انضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي. وخوفًا من كثرة ملاحقاته، هرب إلى موسكو في سنة ١٩٣٢. جنّدته المخابرات السوفييتية في سنة ١٩٣٧ إلى صفوفها، وأرسل إلى بلجيكا لينشئ هناك شبكة تجسّس تعمل في وسط وغرب أوروبا (فرنسا وألمانيا والدنمارك). نجحت الشبكة في الوصول إلى معلومات أكيدة حول مخطّطات ألمانية لاجتياح الاتحاد السوفييتي، وترافقت مع معلومات مخابراتية أخرى تؤكّد صحة هذه المعلومات. في ٢٢ حزيران ١٩٤١ بعث تريفر برقية مستعجلة عبر الملحق السوفييتي في فرنسا يحذّر من خطّة ألمانية لاجتياح الاتحاد السوفييتي في اليوم التالي، إلّا أنَّ المسؤولين السوفييت استهزؤوا بالمعلومة واعتبروها "استفزازًا بريطانيًا". كشفت المخابرات الألمانية النقاب عن هذه الشبكة التي اتخذت من بروكسيل مقرًا لها في نهاية سنة ١٩٤١،

لكـن اعتقـال تريفـر لـم ينجـح في حينـه، وألقـي القبـض عليـه بعـد نحـو سـنة مـن ذلـك (٢٤ تشريـن الثانـي ١٩٤٢) في فرنسـا حيـث كان مقـرّه. حاولـت المخابـرات الألمانيـة تجنيـده لصالحهـا الأمـر الـذي منحـه فرصـة الخـروج مـن المعتقـل والتحاقـه بالرفـاق السـوفييت الـذي أتـوا لإعادتـه إلى موسـكو عـلى متـن طائـرة سـتالين الخاصـة. تفاجـأ في موسـكو أنـه حكـم عليـه بالسـجن خمـس عـشرة سـنة بتهمـة التعـاون مـع المخابـرات الألمانيـة. أفـرج عنـه بعـد مـوت سـتالين (١٩٥٥) وعـاد إلى أسرتـه في بولنـدا. هاجـر إلى فلسـطين في سـنة ١٩٧٤ بعـد عـدة عراقيـل وقفـت أمامـه منهـا منـع الحكومـة البولنديـة لـه الخـروج مـن حدودهـا. أطلـق الألمـان عـلى شـبكة التجسّـس التـي أقامهـا في بروكسـيل وباريـس تعبـير "الجوقـة الحمـراء" (Rote Kapelle)، لأنَّ الألمـان اعتـادوا عـلى إطلاق تعبـير "مُنشـد" (في جوقـة) عـلى الجاسـوس، أمـا الحمـراء فلأنهـا شـيوعية. كتـب قصـة شـبكة التجسّـس ونشرهـا بالفرنسـية بدايـة وترجمـت إلى لغـات عـدة منهـا الإنكليزيـة: Leopold Trepper, *The Great Game: The Story of the Red Orchestra* (London: M. Joseph, 1977).

١٠ تظهر هذه الفقرة في المحاضرة فقط وليس في المقال.

١١ اعتمـادًا عـلى نـص المقالـة (التـي نـشرت بعـد أسـبوع مـن الخطـاب)، أمـا في الخطـاب فيظهـر الأسـابيع الثمانيـة.

١٢ **أبراهـام يافـه** (Avraham Yoffe, 1913-1983): لـواء في الجيـش الإسرائيـلي، عضـو كنيسـت، ومـن بـين مؤسّـسي "الحركـة مـن أجـل أرض إسرائيـل الكاملـة"، ومديـر سـلطة حمايـة الطبيعـة. تجنّـد في صفـوف القـوات البريطانيـة في الحـرب العالميـة الثانيـة (١٩٤٠) لثـلاث سـنين في حراسـة أماكـن محـدّدة في فلسـطين. اشـتهر بسرقتـه الأسـلحة مـن مخـازن القـوات البريطانيـة لصالـح منظمـة الهغنـاة. شـارك في حـرب ١٩٤٨، ومنـذ ذلـك الحـين اعتـلى سـلم المرتبـات العسـكرية، وبعـد حـرب حزيـران ١٩٦٧ أصبـح مـن القيـادات المركزيـة المؤسّسـة لـ "الحركـة مـن أجـل أرض إسرائيـل الكاملـة"، التـي كانـت مـن المركّبـات الأساسـية التـي شـكّلت حـزب الليكـود في سـنة ١٩٧٣.

١٣ **فيليـب حبيـب** (Philip Habib, 1920-1992): دبلومـاسي أميركـي مـن أصـول لبنانيـة، اشـتهر بـدوره البـارز في إبـرام اتفاقـين لوقـف إطـلاق النـار بـين منظمـة التحريـر وإسرائيـل (بـدأ مفعولـه يـوم ٢٤ تمـوز ١٩٨١؛ وَ ١٨ آب ١٩٨٢).